(تفسيرُ الشَّيخِ البرَّاك)

القارئ: أعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠) وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ} [الأنعام:١٠٩-١١١]

الشيخ: إلى هنا، نعم يا محمَّد، لا إله إلَّا الله

القارئ: بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ، الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آلهِ وصحبِهِ أجمعينَ، قالَ الشيخُ عبدُ الرحمنِ السعديُّ -رحمَهُ اللهُ تعالى- في تفسيرِ قولِهِ تعالى: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ} الآياتِ:

أي: وأقسمَ المشركونَ المكذِّبونَ للرسولِ محمَّدٍ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ-

الشيخ: صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ

القارئ: {بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ} أي: قسمًا اجتهدوا فيهِ وأكَّدوهُ. {لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ} تدلُّ على صدقِ محمَّدٍ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- {لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا} وهذا الكلامُ الَّذي صدرَ منهم، لم يكنْ قصدُهم فيهِ الرشادَ، وإنَّما قصدُهم دفعُ الاعتراضِ عليهم، وردُّ ما جاءَ بهِ الرسولُ قطعًا، فإنَّ اللهَ أيَّدَ رسولَهُ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ-، بالآياتِ البيِّناتِ، والأدلَّةِ الواضحاتِ، الَّتي -عندَ الالتفاتِ لها- لا تُبقي أدنى شبهةٍ ولا إشكالٍ في صحَّةِ ما جاءَ بهِ، فطلبُهم -بعدَ ذلكَ- للآياتِ مِن بابِ التعنُّتِ، الَّذي لا يلزمُ إجابتُهُ، بل قد يكونُ المنعُ من إجابتِهم أصلحُ لهم، فإنَّ اللهَ جرَتْ سنَّتُهُ في عبادِهِ، أنَّ المقترحينَ للآياتِ على رسلِهم، إذا جاءَتْهم، فلم يؤمنوا بها -أنَّهُ يعاجلُهم بالعقوبةِ، ولهذا قالَ: {قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ} أي: هو الَّذي يرسلُها إذا شاءَ، ويمنعُها إذا شاءَ، ليسَ مِن الأمرِ شيءٌ

الشيخ: ليسَ؟

القارئ: ليسَ لي من الأمرِ شيءٌ

الشيخ: نعم

القارئ: فطلبُكم منّي الآياتِ ظلمٌ، وطلبٌ لما لا أملكُ، وإنَّما توجهونَ إلى توضيحِ ما جئْتُكم بهِ، وتصديقُهُ، وقد حصلَ، ومعَ ذلكَ، فليسَ معلومًا، أنَّهم إذا جاءَتْهم الآياتُ يؤمنونَ ويصدِّقونَ، بل الغالبُ ممَّن هذهِ حالُهُ، أنَّهُ لا يؤمنُ، ولهذا قالَ: {وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ}.

{وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} أي: ونعاقبُهم، إذا لم يؤمنُوا أوَّلَ مرَّةٍ يأتيهم فيها الداعي، وتقومُ عليهم الحجَّةُ، بتقليبِ القلوبِ، والحيلولةِ بينَهم وبينَ الإيمانِ

الشيخ: آمنْتُ باللهِ ورسولِهِ، أعوذُ باللهِ

القارئ: وعدمُ التوفيقِ لسلوكِ الصراطِ المستقيمِ. وهذا مِن عدلِ اللهِ، وحكمتِهِ بعبادِهِ، فإنَّهم الَّذينَ جنحُوا على أنفسِهم

الشيخ: فإنَّهم؟!

القارئ: فإنَّهم الَّذينَ جنَوا على أنفسِهم، وفتحَ لهم البابَ فلم يدخلُوا، وبيَّنَ لهم الطريقَ فلم يسلكُوا، فبعدَ ذلك إذا حُرِمُوا التوفيقَ، كانَ مناسبًا لأحوالِهم

الشيخ: أعوذُ باللهِ من الخذلانِ، أعوذُ باللهِ من الخذلانِ، أعوذُ باللهِ من الخذلانِ

القارئ: وكذلكَ تعليقُهم الإيمانَ بإرادتِهم، ومشيئتِهم وحدَهم

الشيخ: وش [ما] يقولُ؟

القارئ: وكذلكَ تعليقُهم الإيمانَ بإرادتِهم، ومشيئتِهم وحدَهم

الشيخ: وكذلكَ؟

القارئ: تعليقُهم الإيمانَ

الشيخ: تعليقُهم؟

القارئ: نعم

الشيخ: نعم

القارئ: وعدمُ الاعتمادِ على اللهِ من أكبرِ الغلطِ، فإنَّهم لو جاءَتْهم الآياتُ العظيمةُ، مِن تنزيلِ الملائكةِ إليهم، يشهدونَ للرسولِ بالرسالةِ، وتكليمِ الموتى وبعثِهم بعدَ موتِهم، وحشرِ كلِّ شيءٍ إليهم حتَّى يكلِّمَهم {قُبُلًا} ومشاهدةً، ومباشرةً، بصدقِ ما جاءَ بهِ الرسولُ ما حصلَ منهم الإيمانُ، إذا لم يشأِ اللهُ إيمانَهم، ولكنَّ أكثرَهم يجهلونَ. فلذلكَ رتَّبُوا إيمانَهم، على مجرَّدِ إتيانِ الآياتِ، وإنَّما العقلُ والعلمُ، أنْ

يكونَ العبدُ مقصودُهُ اتِّباعُ الحقِّ، ويطلبُهُ بالطرقِ الَّتي بيَّنَها اللهُ، ويعملُ بذلك، ويستعينُ ربَّهُ في اتِّباعِهِ، ولا يتَّكلُ على نفسِهِ وحولِهِ وقوَّتِهِ، ولا يطلبُ مِن الآياتِ الاقتراحيَّةِ ما لا فائدةَ فيهِ. {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا}

الشيخ: أحسنْتَ.